

المبحث الرابع

بريطانيا تؤبن عبد الناصر

عبد الناصر قيمة وطنية عالمية اعترف بها الأعداء قبل الأصدقاء.. وسأذكر قصة تدعم هذا الرأي بكل صدق. كنت في لندن قبل ذكري الأربعين لوفاته، واتصل بي صديقي «كريستوفر ماهيو» وزير البحرية البريطانية، وأخبرني بأنه تقرر إقامة حفل تأبين لعبد الناصر بمجلس العموم البريطاني يوم ذكري الأربعين الموافق 7 نوفمبر 1970، وطلب مني الحضور بملابس الحداد وكرافطة سوداء، وعندما دخلت القاعة الرئيسية للمجلس وجدت جميع الحاضرين يرتدون ملابس سوداء ويضعون علي صدورهم الشارات السوداء!

بدأ حفل التأبين وتحدث أحد النواب قائلاً: إننا نؤبن اليوم عبد الناصر.. لأنه لم يكن عدوا لنا.. بل كنا نحن البريطانيون حكومة وصحافة أعداء لعبد الناصر، فقد نصحنا بعدم شن العدوان الثلاثي علي وطنه، ولكننا لم نستمع له، فضاعت الإمبراطورية التي كانت لا تغيب عنها الشمس! وقال نائب آخر: إننا نذكر عبد الناصر.. وتفخر الوطنية في كل أنحاء العالم بأنه قيمة وطنية وبطل وطني كان يحافظ علي استقلال بلاده من كل من يعتدي علي حرية وكرامة وأرض الأمة العربية التي كان قائدا لها.. يعمل بما قررتة الأمم المتحدة.. كان جمال عبد الناصر قيمة ليس للعرب فقط، بل لكل دول العالم التي تناضل وتكافح أمام أقوى القوي الدولية!

قيمة وطنية عالية

ثم طلب الوزير «كريستوفر ماهيو» مني أن أصعد إلي منصة التأبين وألقي

بكلمات الرثاء للفقيه العظيم، فوفقت أمام الميكروفون نحو دقيقتين «بدون كلام» متأثرا لهذا الموقف الجليل الذي يقفه البريطانيون اليوم من عبد الناصر «عدوهم الأول في المنطقة» وإذا بكل الحاضرين يقفون ظنا منهم أنني أقف دقيقة حداد علي روح عبدالناصر، وأخيرا قلت لهم: رغم أنني كنت المتحدث الرسمي لثورة مصر أيام العدوان الثلاثي فإنني أجد صعوبة في الحديث عن هذا الموقف الكبير، لأنني أرى بريطانيا عدوة عبدالناصر في عام 1956 تقف اليوم وبكل ما تمتلكه من حضارة وإنسانية تؤين عبدالناصر كقيمة وطنية عالمية.. ياليت روح عبد الناصر تكون معنا في هذه القاعة لتري بريطانيا زعيمة الديمقراطية، وصحافتها التي كان دائم الشكوي منها.. وهي مجللة بالسواد حزنا ورثاء لغياب عبدالناصر.

لم يكن نرجسيا

مازلت أذكر هذه القصة عندما كنت مديرا لمكتبه: جاءني وفد من الأرجنتين وطلب مقابلة عبدالناصر، فأخبرته بأنهم «ناصريون» ولأول مرة في حياته يسمع هذا التعبير NASSERiSM وسألني مستغربا: ماذا يقصدون أجبت: ياريس يوجد في العالم عدة حركات تحررية مستمدة قوتها وكفاحها من رواد وثوار لهم مبادئ تنشدها الشعوب. فقال وهو يقاطعني: أرجو ألا أسمع عن كلمة «الناصرية» إطلاقا! ومات عبد الناصر وكنت وزيرا للإعلامه، ولم استخدم هذه الكلمة إلا في يوم ذكري الأربعين لوفاته، حيث كتبت مقالا عنه وعن الناصرية قلت فيه إذا كان عبدالناصر لم يستخدم كلمة 'الناصرية' في حياته، فإنها ستصبح مبدأ سياسيا مهما، وسينتشر بعد وفاته!!